حكايات نحبها جميعاً

٨

نحن بنات طارق

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إلىٰ نَادِي الفُرُوسيَّةِ!!

أَعْلنَ نَادِي الفُرُوسِيَّةِ عَن إجراءِ مُسَابقةٍ ثَقافيَّةٍ تَدُورُ حَولَ الفُرْسَانِ وَالفَارِسَاتِ المُعاصِراتِ أَو عَن حَياةِ القُدَامَىٰ ، وخَاصَّةً منَ النِّساءِ!

وَفِي لَيلةِ الخَمِيسِ زَارتْ (نَاديَا) صَدِيقَتَها (نَاهِد) وَبعدَ اسْتِراحةٍ قَصِيرةٍ في حَديقةِ البَيتِ ، أَبلغتْ (نَاديَا) صَديقَتَها بِمَا عَلمتهُ عن إعْلانِ النَّادِي.. ، ثُمَّ عن شُروطِ التَّقديمِ للمُسَابَقةِ ، وَكَذلكَ عن قِيمَةِ الجَوائزِ للفائزِينَ ، وَما إلىٰ هُنالِكَ..

وَمضَـتِ الأيَّـامُ بِسُـرعَـةٍ ، واقتَـرَبَ مَـوعِـدُ المُسَابَقةِ ، فَحُدِّد المَكَانُ في المَسجدِ المتوسِّطِ فِي البَلدةِ ، وَعلىٰ أن يكُونَ المَوعدُ بَعدَ صَلاةِ العشَاءِ إن شَاءَ اللهُ سُبحانَهُ.

وَمَا هِيَ إلاَّ دقائقُ حَتَّىٰ اكتظَّتْ صَالةُ الضُّيوفِ وَالزّوارِ بالنِّساءِ وَبالفَتَياتِ ، نَظَرتْ (مَيسونُ) إلىٰ صَدِيقتهَا (دَعْد) وَقالتْ: مَا شَاءَ اللهُ يَا عَزِيزَتي ، كَمْ عَددُ الحَاضِرات؟ ولِمَاذَا هَذا الازْدِحَام؟

أَجابتْ (نُورُ الهُدىٰ): كَيفَ لاَ يكُون ذَلِكَ ، وَالمُحَاضِرُ عَلمٌ من أَعلامِ المُسْلِمينَ ، والمَوضُوعُ شَائِقٌ وَمُثِيرٌ ، وَذَلِكَ مِن خِلالِ العُنوانِ الرَّائعِ: هَلِ الإسلامُ يُلغِي الفُنونَ أَمْ يُشَجِّعُها؟ وَهلْ بَرزَ في التَّاريخِ الإسلاميِّ فَارِسَات؟!

وَقَطَعَ هَذا الحِوارَ الهَادِفَ صَوتُ الطَّالبَةِ (عَفْرَاء) وَهِيَ تُقدِّمُ مُقدِّمةً صَغِيرةً عَن هَذا العَمل الكَبِير.. أَيْ عنِ المُسَابَقَةِ... وَمِمَّا قَالتهُ:

بِاسْمِ جَمِيعِ المُثقَّفينَ والمُثقَّفَاتِ.. وَباسمِ المَسؤُولاتِ عَن هَذا المَركَزِ.. وبَاسمِ المُحْسِنينَ الذينَ دَعَمُوا هَذا المَركَزَ وَكلّ نَشَاطَاتِه نُرحِّبُ بِكُم أَعْظَمَ تَرْحِيبٍ، وَنتَمنَّىٰ لِلجَميعِ الفَائِدَة والنَّفْعَ العَمِيمَ...

ثُمَّ قَالتْ: وَخَيرُ مَا نَفْتَتِحُ بهِ حَفْلَنا هَذا تِلاوَةٌ عَطِرةً مِن كِتَابِ اللهِ، وَمَعَ الحَافِظَةِ (نَوَال) فَلتَتَفَضَّلْ مَشكُورةً غيرَ مَأْمُورَة..

وَأنصتَ الجميعُ للتِّلاوةِ.. ثُمَّ قَدَّمتْ (عَفْراءُ) مُدِيرةَ المَرْكَزِ لِكَيْ تُقدِّمَ نبذَةً عَن وَاحدةٍ منَ النِّساءِ الفَاضِلاتِ، سَواء كُنَّ من التَّاريخِ

الإسْلامِيِّ ، أَمْ منَ التَّاريخِ القَديمِ ، أَمْ منَ التَّاريخِ المُعَاصِرِ.. أَمْ منَ الوَاقِعِ المُعَاشِ..

وَبالفِعْلِ صَعِدتْ مُدِيرَةُ المَركَزِ إلى المِنصَّةِ وَقَالتْ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلىٰ أكرمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وَعلى آلهِ وصَحابتهِ أَجمَعينَ ، وَعلىٰ مَن سَارَ عَلىٰ دَربِ الهُدَىٰ إلىٰ يَومِ الدِّينِ ، وبَعَد: أَيَّتُها الأَخواتُ الفَاضِلاتُ ، قَبلَ أَن نَبدأَ بأَسئلةِ المُسَابَقَةِ أَودُّ أَن أقدِّمَ لكنَّ نبذَةً مُيسَّرةً عن رَمزٍ من رُمُوزِنَا جَمِيعاً ، سَواءً كَانَ من الرِّجالِ أَم منَ النِّساءِ ، عَسىٰ أن تَكونَ الفَائِدةُ مُضَاعَفَةً..

واسْتعدَّ الجميعُ لِسمَاعِ تلكُمُ النُّبذةِ ، وأَخرَجَتْ بَعْضُ الفَتَياتُ أَقلاماً وَأَوْراقاً وَذلكَ بهَدفِ كِتَابةِ مُلخَّصٍ لمَا سَتُدلي بهِ المُديرَةُ.

فَارِسَةٌ.. شَاعِرةٌ... شُجَاعَةٌ!!

إنَّها (هِندُ بنتُ عُتْبَة) رضيَ اللهُ عنهَا...

يُحدِّثنَا التَّاريخُ عنهَا أَحاديثَ عَجِيبَةً ، فَفِي العَهْدِ الجاهليِّ كَانتْ منْ أَشدِّ النَّاسِ عَداوةً للرَّسولِ ﷺ والصَّحبِ الكِرَامِ..

وَكَانَتْ تُشجِّعُ أَهلَ قُرَيشٍ عَلىٰ قِتَالِ المُسْلِمينَ ، لكنَّها كَانتْ فَصِيحَةً وَشَاعِرةً وَذاتَ رَأيٍ وَحَزْمٍ..

وَكَانَتْ زَوجَةً لأَبي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ ، فَوَلدتْ لَهُ مُعاوِيةَ ـ وَالذي أَصْبحَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أُمَويٍّ ـ وَكَذلكَ عُتْبَة..

وَدَارَ الزَّمنُ دَورَتَهُ ، وَازدادَ الضَّغْطُ عَلىٰ المُسْلِمينَ ، ممَّا أَدَّىٰ إلىٰ الهجرَةِ المُبَارَكَةِ..

وَلمَّا كَانَ مَا كَانَ من اعتِراضِ المُسْلمينَ لِقَافِلةٍ تِجَارِيةٍ مُتَّجهةٍ من بِلادِ الشَّامِ إلىٰ مكَّة بِزَعامَةِ أَبي سُفْيَان ، أَقْسَم عَمَالقةُ قُرَيشٍ وَتَعَاهَدُوا عَلىٰ أن يَقضُوا علىٰ دَولةِ الإسْلامِ الفَتيَّةِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرةِ..

وَهَكَذَا التَقَتِ الفِئَةُ القَليلةُ المُسْلِمَةُ مَعَ جَيشِ المُشْرِكينَ.. حَيثُ لا العَددُ يُكَافِئُ العَدَدَ.. ولا العُددُ كَذِلكَ تُماثلُ العُددَ ، لكنَّ الرَّسولَ صَلواتُ اللهِ عَليهِ اسْتَقبلَ الكَعبةَ وَدَعَا اللهَ قَائِلاً: «اللَّهمَّ عَليكَ بِشَيبَةَ ، وَعُتْبةَ ، والوَليدِ بنِ عُتبةَ ، وَأبي جَهلٍ بنِ هِشَامٍ».

وَشَاءَ اللهُ النَّصرَ للأمَّةِ المُسْتَضعفَةِ ، فَقُتِلَ منَ المُشْرِكينَ سَبعونَ رَجُلاً ، مِنهُم: أُميَّة بن خَلَف ، وأَبو البخْتريِّ ، وَأبو جَهْل ، وعُبَيدة بن

سَعيدِ بن العَاص ، وَشَيبةَ ، وَعُتبةَ ، والوَليد و...!!

أَجَلْ!

إنَّ هَزِيمةَ بَدْرٍ أَثَّرتْ في نَفْسِ (هِندٍ) تَأْثِيراً كَبِيراً! كَيفَ لاَ؟ وَقدْ رَأَتْ أَخَويهَا شَيبَةَ وعُتبةَ وابنَ أخِيهَا الوَليد، رَأَتهُم صَرْعَىٰ عَلىٰ سَاحةِ بَدْرٍ.. وكذلكَ فقدْ رَأَتْ زوجَهَا (أَبا سُفْيان) يُولِّي هَارِباً!!

وَلمَّا عَادَ الجَيشُ القُرشيُّ إلىٰ مكَّةَ وَهُوَ يَجرُّ ذُيولَ الهَزِيمَةِ.. خَرجَ النّسوةُ إلىٰ جِبَالِ مَكَّةَ وهنَّ ينحنَ عَلىٰ القَتْلىٰ.. وَكَثيراتٌ مِنهنَّ قَدْ جَزَزنَ شَعرَ رُؤوسهِنَّ!! أمَّا (هِندٌ) فَلمْ تَفعلْ ذلكَ كلّهُ ، فَقِيلَ لَهَا: أَلا تَبكِينَ عَلىٰ أَبيكِ وَأَخيكِ وَأهلِ بَيتكِ؟!

فَأَجابتْ: أَنا أبكِيهم فَيبلغَ مُحمَّداً وَأصحَابَهُ فَيَشْمتُونَ بنَا ، وَتَشمَتُ نِسَاءُ بنِي الخَزْرَجِ!! لاَ وَاللهِ حَتَّى أثأَر من محمَّدٍ وَأَصحَابهُ!

والدُّهنُ عليَّ حَرامٌ حتَّىٰ نَغزُو مُحمَّداً! واللهِ لَو أَعلمُ أنَّ الحزَن يُذْهِبُ مَا بِقَلبِي لبكيتُ ، ولَكنْ لا يَـذْهَـبُ إلاَّ أَن أَرىٰ ثَـأْرِي بِعَينـي مِـن قَتلَـةِ الأَحبَّةِ..

... وَرَاحَتْ (هِنْدُ) تُحرِّضُ أَهلَ قُريشٍ عَلىٰ الاستعدادِ لمنازَلةِ المُسلمينَ ، والثّأرِ لقتلَىٰ مَعرَكَة بَدرٍ.. وَكانتْ تَرْثِي القَتْلىٰ ، كَمَا فِي قَولِهَا:

أَبْكِي عَمِيدَ الأَبطَحيْنَ كِليهمَا
وَحَامِيهمَا مِن كلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا
أبِي عُتْبَةَ الخَيراتِ وَيحَكِ فَاعْلمي
وَشَيْبة والحَامِي الذِّمار وَلِيدها

أُولئكَ آلُ المَجْدِ مِن آلِ غَالِبٍ

وَفِي العِزِّ منهَا حِينَ يُنمَىٰ عَدِيدهَا

شَفيتَ صَدْرِي!!

وَاستغلَّتْ (هِندٌ) فَقْرَ عَبدٍ يُدعَىٰ (وَحْشِيّ).. فَأغرتْهُ بِالمَالِ الكَثيرِ وَبِعِتْقِهِ لِقاءَ أَن يقتلَ عَمَّ رَسول اللهِ حَمْزةَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ..

وَلمَّا استعدَّ الجيشُ القُرَشيُّ للانطلاقِ إلىٰ غَزْوَةِ أُحُد ، كَانَ عَلَىٰ رَأْسِ النِّساءِ الخَارجاتِ (هِنْد)...

وَلمَّا التقَىٰ الجَمعانِ رَاحتْ (هِندٌ) تَمْشِي بينَ صُفُوفِ المُشْرِكِينَ تُحرِّضُهم عَلىٰ الثَّأرِ لقَتْلَىٰ يَوم بَدرٍ.. وَتُردِّدُ مَع بَعضِ النِّساءِ اللاَّتِي كنَّ يَضربنَ بالدُّفوفِ ويقلنَ:

نَحْـــنُ بَنـــاتُ طَـــارِق
نَمْشِـــي عَلـــىٰ النَّمـــارِقْ
إنْ تُقْبِلُـــوا نُعـــانِـــق
أَو تُـــدْبِـــرُوا نُفَـــارِقُ
فِـــرَاق غَيـــر وَامِـــقْ

ودَارَتِ المَعْـرَكَـةُ.. وَشَـاءَ اللهُ الهَـزِيمَـةَ للمُسْلِمينَ.. وَكانَ من بينِ الشُّهداءِ حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلبِ ، حَيثُ إنَّ الذي قَتَلهُ (وَحْشيٌّ)..

وَكَان فَرحُ (هِنْد) لاَ يماثلهُ فَرحٌ أَبداً ، لِذَلكَ عَلَتْ عَلىٰ صَخْرةٍ مُشْرِفَةٍ ، وَصَرخَتْ بِأَعلىٰ صَوتِهَا:

نَحـنُ جَـزَينَـاكُـمْ بِيـومِ بَـدْرٍ
والحَرْبُ بَعدَ الحَربِ ذات سعرِ
مَا كَانَ عن عُتبة لي مِن صَبْرِ
وَلا أَخِـــي وَعمّـــه وبَكْـــرِي

شَفِيتُ صَدْرِي وَقَضَيْتُ نَذْري

شَفَيتَ وَحشيٌّ غَلِيلَ صَدْرِي

بَينَ يَديّ المُصطَفىٰ ﷺ

وَتمْضِي الأَيَّامُ وَ (هندٌ) تُتَابِعُ أَخبارَ رَسول اللهِ.. وَتَسْألُ عَن أَصحابِهِ وَمَا يَفعلهُ فِي المَدِينَةِ المنوَّرةِ...

لَكن ذَاتَ لَيلةٍ قَالتْ لِزَوجِهَا أَبي سُفْيان: إنَّما أُريدُ أَن أتابعَ مُحمَّداً!!

فَابتَسَم زَوجُها وَقالَ: وَلكِن أنَّىٰ لَكِ ذَلِكَ ، وَقدْ شَجَّعتِ عَلىٰ قَتْلِ عَمِّه حَمْزَةَ؟

وَقدْ أَهدرَ دَمَكِ..!؟

فَانطَلَقَتْ إلىٰ (عُثمَان بنِ عَفَّان) وَرَجتهُ أَن يَذهبَ مَعهَا إلىٰ رَسولِ اللهِ صلواتُ اللهِ عَليهِ..

وَفي الطَّريقِ تَنكرتْ وتنقَّبتْ كَيْ لا تُعْرَف.. حتَّى إذَا مَا دَخَلتْ علىٰ الطَّبِيبِ ﷺ دَارَ بينهُمَا هَذا الحِوَارُ:

قَالَتْ: يَا رسُولَ اللهِ! الحَمدُ للهِ الذي أَظْهَرَ الدِّينَ الذِي اختَارَهُ لِنفْسِهِ لتنْفَعَنِي رَحِمُكَ يَا مُحمَّد ، إنِّي امْرأةٌ مُؤْمِنةٌ باللهِ مُصدِّقةٌ بِرسُولهِ..

ثُمَّ كَشَفَتْ عن نِقَابِهَا وَقالتْ: أَنا هندُ بنتُ عُتْبَة... ، وَأَصدقكَ القَوْل:

مَا كَانَ علىٰ الأَرضِ أَهل خِباءٍ أَحبَّ إليَّ منْ أَنْ يذلُّوا من خِبَائِكَ ، وَلقدْ أَصبَحْتُ وَما عَلىٰ الأَرْضِ أَهل خِبَاءٍ أَحبَّ إليَّ من أنْ يعزُّوا من خِبائِكَ! فتهلَّلَ وجهُ الرَّسولِ صلواتُ اللهِ عليهِ وَقالَ: «مَرْحَباً بِكِ».

كلُّ حَياتهَا جِهَادٌ!!

منذُ أَن أَعلنَت إسلامَهَا انقَلبتْ رَأْساً عَلىٰ عَقبٍ ، حَيثُ تَحوَّل إنفاقُها مِنَ الرِّياءِ و.. إلىٰ إطْعَامِ الجَائعِ... والإنْفَاقِ فِي سَبيلِ اللهِ ، وَمَا إلىٰ هُنَالِكَ.

أجَلْ!

لَقَدْ رَبَّت أَولادَهَا تَربِيةً جِهَادِيةً ، فَكانَ مِنهُمُ الخَلِيفةُ الأُمويّ مُعَاويةُ بن أَبِي سُفْيان رَضيَ اللهُ عَنِ الجَميعِ.

وَشَارَكَتْ في كَثيرٍ منَ الغَزواتِ والمَعاركِ ، خَاصّةً في مَعركةِ اليرْمُوكِ.. وَبقيَ لهَا حُضُورٌ قَوِيٌّ في المَجَالِس ، حَيثُ كَانَ الكِبَارُ يَأْخُذونَ رَأْيَها فِي القَضَايا المُستَعْصِيةِ ، فمَثلاً: عِندَما

تَولَّىٰ ابنُها مُعَاويةُ إمارةَ بلاد الشَّامِ ، جَاءتْ إليهِ والدتُهُ ، فَقالتْ لَهُ: وَالله يا بنيَّ! إنَّه لقلَّما ولَدَتْ حُرَّةٌ مِثلكَ ، وَقَدِ استنهَضَك هَذا الرجلُ ـ الفَاروقُ عُمَرُ ـ فاعمَلْ بمُوافقتِهِ ، أَحببتَ ذَلِكَ أمْ كَرِهتَهُ..

وَلمَّا أَرادَ صَدِيقُ أَحَدِ أولادِها الخُطْبةَ قَالتْ لهُ: إنَّما النِّساءُ أغلالٌ ، فلْيتخذِ الرَّجلُ غلاً بِيَدِهِ!!

وَفِي خِلافَةِ عُمَر رَضيَ اللهُ عَنهُ (١٤هـ) أَسْلَمتِ الرَّوحَ إلىٰ بَارئهَا... فَرضيَ اللهُ عَنهَا وَأرْضَاهَا ، وَأدخَلَهَا فَسِيحَ جِنَانِهِ ، إنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ.

وآخرُ دَعوَانا أَنِ الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين